يصير بدراً ثم يعود لدورته مرة أخرى حتى يغرب ليلتين لا نراه فيهما » ، وهذا السؤال سجله القرآن فى قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

الأهلة جمع هلال ، وسمى هلالاً لأن الإنسان ساعة يراه يهل ، أى يرفع صوته بالتهليل . ويجيب الحق سبحانه وتعالى الجواب الذى يحمل كل التفاصيل عن القمر ، وهو الكوكب الذى خضع لنشاطات العقل حتى يكتشفه ، والعرب القدامى لم يكونوا يعلمون شيئاً عن ذلك القمر ، ولكنهم كانوا يؤرخون به ، وعلمهم به لم يزد على حدود انتفاعهم به . ولم يصلوا إلى الترف العقلى الذى يتأملون به آيات الله فى الكون ، فكل آيات الكون يُنتفع بها ثم ينشط العقل بعد ذلك ، فنعرف السبب ، وقد لا ينشط العقل، فتظل الفائدة هى الفائدة .

وأراد الحق سبحانه أن يلفتنا لمبدأ مهم ، وهو أن يعلمنا كيف نستفيد من الآيات الكونية مثل القمر ، لا يكفى ظهوره واختفاؤه ، وتغير حجمه ، لأن هذه لن يتسع لها العقل ، بل نستفيد منه كميقات ، ونستخدمه لقياس الزمن . فإذا كنا ونحن نعيش فى القرن العشرين ، لم يعرف العلماء سبباً لظواهر القمر ، فكيف كان حال الذين سألوا عنها منذ أربعة عشر قرناً ؟

قال العلماء المعاصرون فى تفسيراتهم مثلاً : إن الشمس مثل حجم الأرض مليونا

وربع مليون مرة ، والقمر أصغر من الأرض ، وعندما تأتى الأرض بين الشمس والقمر برغم حجم الشمس الهائل فإن الأرض تحجب جزءاً من القمر ، هذا الجزء المحجوب بقدر تدوير القوس المحجوب من الأرض ويصبح هذا الجزء من القمر مظلماً .

إن القمر وجوده ثابت لكن الأرض عندما توجد بينه وبين الشمس فهى التى تحجب عنه ضوء الشمس ، ويكبر حجم نوره كلما تزحزحت الأرض بعيداً عنه . وعندما تنزاح الأرض بعيداً عنه كلية يظهر فى السماء بدراً كاملاً ، ثم تعود الأرض بعد ذلك لتحجب عنه جزءاً من الشمس ، ويزداد ذلك يوماً بعد يوم ، فينقص ضوء الشمس المنعكس عليه تبعاً لذلك ، فيقل تدريجياً حتى تأتى الأرض بينه وبين الشمس فلا يظهر منه شىء .

ونقول نحن : إننا عندما لا نرى القمر لا فى الليل ولا فى النهار برغم أنه موجود فى مكانه ، نقول : إنه مستور فى ظل الأرض ، لذلك لا نراه . وهذه الظاهرة لا تحدث للشمس لأن جرم الشمس كبير جداً . وعندما يحدث فإن الأثر يكون قليلا ، ويسمى بالكسوف .

وعندما التفت العرب للكون قالوا : ما بال الهلال يصبح هكذا ثم يكبر حتى يصير بدراً ، فقال الحق عز وجل : « قل هى مواقيت للناس والحج » إنهم هم يسألون عن الأهلة ودورتها ، فقطع الله عليهم خيط تفكيرهم وأعطاهم الخلاصة والنتيجة ، فقال : « قل هى مواقيت للناس والحج » . إن هذا الأمر هو الذى يستطيع العقل فى ذلك الزمان أن يعرفه ، أما ما وراء ذلك فانتظروا حتى يكشف الزمن عنه ، وجهلكم به لا يقلل من نفعكم .

لقد كانت كل إجابة لأى سؤال فى ذلك الزمان تحتوى على ما يتسع العقل لإدراكه ساعة التشريع ، أما بقية الإجابة فالحق يتركها للزمن . ولا يعطينا إلا ما يفيد التشريع ، مثال ذلك : كانوا قديما يقولون : الأرض كرة وأثبت لنا العلم أنها كذلك ، ورأيناها بالأقمار الصناعية وانتهت القضية .

وعندما سأل العرب عن الأهلة أخبرنا الحق بأنها مواقيت ، والمواقيت جمع ميقات ، والميقات من الوقت ، والوقت هو الزمن ، ونعرف أن كل حدث من الأحداث يحتاج إلى زمن وإلى مكان . إذن فالزمان والمكان مرتبطان بالحدث ، فلا يوجد زمان ولا مكان إلا إذا وجد حدث .

والذى يقول : كيف كان الزمن قبل أن يخلق الله الخلق ؟ . نقول له : الزمن وُجد للحادث وهو المخلوقات والله قديم ، ومادام الله قديما وليس حادثا فلا زمان ولا مكان ، لا تقل متى ولا أين ؛ لأن متى وأين مخلوقة . وكيف نعرف الوقت ؟ نحن نعرف الوقت بأنه مقدار من الزمن ، لمقدار من الحركة ولمقدار من الفعل .

وأين المكان فى هذا التعريف ؟ إن الزمان يتحكم أحياناً فى المكان ، فيكون الزمان هو الأصل ، والمكان طارىء عليه ، ومرة أخرى يكون المكان هو الأصل ، والزمان هو الطارىء عليه ، ومرة ثالثة يتلازم الاثنان الزمان والمكان .

ونحن فى مصر إذا أردنا الحج فإننا نبدأ الإحرام عند رابغ ، ونُسمى رابغ ميقات أهل مصر أى هى المكان الذى لا يتجاوزه من مر عليه إلا وهو محرم .

إذن فالميقات قد أطلق على مكان هو رابغ ، ومن فور وصول الإنسان المصرى إلى رابغ بغية الحج يحرم ، سواء كان الوقت صباحاً أو ظهراً أو عصراً أو مغرباً .

ولكن عندما نبدأ فى الصوم فإن الزمن يصبح هو الأصل فى صومك فى أى مكان تذهب إليه ، إن الزمان هو الذى يحدد مواعيد الصوم : فى طنطا أو لندن أو فى طوكيو ، وهكذا نعرف كيف يكون الزمن ميقاتاً .

إذن فمرة يكون الزمن هو المتحكم فى الميقات والمكان طارىء عليه ، ومرة يكون المكان هو الذى يتحكم فى الميقات ، والزمن طارىء عليه ، ومرة يتحكم الزمان والمكان معاً فى الفعل مثل يوم عرفة .

وهكذا نعـرف معنـى « مواقـيت للناس » ، فنحن بالهـلال نعـرف بدء شهـر رمضان، ونعرف به عيد الفطر ، وكذلك موسم الحج وعدة المرأة ، والأشهر الحرم ، إن كل هذه الأمور إنما نعـرفها بالمواقـيت . وشاء الحق أن يجـعل الهلال هو أسلوب تعريفنا تلك الأمور وجـعل الشمس لتدلنا على اليوم فقط ، وإن كان لـهـا عمل آخر فى البروج التى يتعلق بها حالة الطقس والجو ، والزراعة ، ولذلك قال :

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً .. ﴿٥﴾ ﴾

(سورة يونس)

وانظر إلى الدقـة فى الأداء وكيف يشـرح الحق للإنسان مـاهية النور ، ومـاهية الضوء . إن الشمس مضيئة بذاتها ، أما القمر فهو منير ؛ لأن ضوءه من غيره ؛ فهو مثل قطعة الحجـر اللامعة التى تنعكس عليها أشعة الشمس فـتعطينا نوراً . إن القمر منير بضوء غيره ، ولذلك يقول الحق فى آية أخرى :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴿٦١﴾ ﴾

(سورة الفرقان)

والسراج فى هذه الآية هو الشمس التى فيها حرارة ، وجعلها الحق ذات بروج، أما القمر فله منازل وهو منير بضوء غيره ؛ وفى ذلك يقول الحق :

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ .. ﴿٥﴾ ﴾

(سورة يونس)

إذن، فعدد السنين وحسابهـا يأتى من القمر ، وفى زماننا إذا أرادوا أن يضبطوا المعايير الزمنية فهم يقـيمونها بحساب القمر ؛ فقد وجـدوا أن الحساب بالقمر أضبط من الحساب بالشمس ؛ فالحساب بالشمس يختل يوماً كل عدد من السنين .

ولنفهم الفرق بين منازل القمر وبروج الشمس . إن البروج هى أسماء من اللغة السريانية ، وهو : برج الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والعذراء ، والأسد ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت ، وعددها اثنا عشر برجا هذه هى أبراج الشمس ، ويتعلق بها مواعيد الزرع والطقس والجو ، ويجب أن نفهم أن لله فى البروج أسراراً ، بدليل أن الحق سبحانه وتعالى جعلها قَسَماً حين يقول : « والسماء ذات البروج » .

ولذلك تجد أن التوقيت فى الشمس لا يختلف ؛ فالشهور التى تأتى فى البرد ، والتى تأتى فى الحر هى هى ، وكذلك التى تأتى فى الخريف ، والربيع ، وبين السنة الشمسية والسنة القمرية أحد عشر يوما ، والسنة القمرية هى التى تستخدم فى التحديد التاريخى للشهور العربية ونعرف بداية كل شهر بالهلال :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾

(من الآية ٣٦ سورة التوبة)

ولذلك كانت تكاليف العبادة محسوبة بالقمر حتى تسيح المنازل القمرية فى البروج الشمسية ، فيأتى التكليف فى كل جو وطقس من أجواء السنة ، فلا تصوم رمضان فى صيف دائم ، ولا فى شتاء دائم ، ولكن يُقلِّبُ الله مواعيد العبادات على سائر أيام السنة ، والذين يعيشون فى المناطق الباردة مثلاً لو كان الحج ثابتا فى موسم الصيف لما استطاعوا أن يؤدوا الفريضة ، ولكن يدور موسم الحج فى سائر الشهور فعندما يأتى الحج فى الشتاء ييسر لهم مهمة أداء الفريضة فى مناخ قريب من مناخ بلادهم .

وهكذا نجد أن حكمة الله اقتضت أن تدور مواقيت العبادات على سائر أيام السنة حتى يستطيع كل الناس حسب ظروفهم المناخية أن يؤدوا العبادات بلا مشقة . إذن فالمنازل شائعة فى البروج ، وهذا سبب قول بعض العلماء : إن ليلة القدر تمر دائرة فى كل ليالى السنة ، وذلك حسب سياحة المنازل فى البروج .

إذن فهناك بروج للشمس ، ومنازل للقمر ، ومواقع للنجوم ، ومواقع النجوم

هى التى يقسم بها الله سبحانه فى قوله :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

(سورة الواقعة)

ولعل وقتا يأتى يكشف الله فيه للبشرية أثر مواقع النجوم على حياة الخلق وذلك عندما تتهيأ النفوس لذلك وتقدر العقول على استيعابه . إذن كل شىء فى الكون له نظام : للشمس بروج ، وللقمر منازل ، وللنجوم مواقع . وكل أسرار الكون ونواميسه ونظامه فى هذه المخلوقات ، وقد أعطانا الله من أسرار الأهلة أنها مواقيت للناس والحج . وعندما تكلم سبحانه عن الحج أراد أن يعطينا حكماً متعلقاً به ؛ فقد كانت هناك قبائل من العرب تعرف بالحمس ، هؤلاء الحمس كانوا متشددين فى دينهم ومتحمسين له ، ومنهم كانت قريش ، وكنانة ، وخثعم ، وجشم ، وبنو صعصاع بن عامر . وكان إذا حج الفرد من هؤلاء لا يدخل بيته من الباب ؛ لأنه أشعث أغبر من أثر أداء مناسك الحج . ويحاول أن يدخل بيته على غير عادته ، لذلك كان يدخل من ظهر البيت ، وكان ذلك تشدداً منهم ، لم يرد الله أن يُشرِّعه . حتى لا يطلع على شىء يكرهه فى زوجه أو أهله . وأراد سبحانه عندما ذكر مناسك الحج فى القرآن أن ينقى المناسك من هذه العادة المألوفة عند العرب فقال :

« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » أى لا تجعلوا المسائل شكلية ، فنحن نريد أصل البر وهو الشىء الحسن النافع .

والملاحظ أن كلمة « البر » فى هذه الآية جاءت مرفوعة ، لأن موقعها من الإعراب هو « اسم ليس » وهى تختلف عن كلمة « البر » التى جاءت من قبل فى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » التى جاءت منصوبة ؛ لأن موقعها من الإعراب هو « خبر مقدم لليس » . حاول المستشرقون أن يأخذوا هذا الاختلاف فى الرفع والنصب على القرآن الكريم . ونقول لهم : أنتم قليلو الفطنة والمعرفة باللغة العربية ، فماذا نفعل لكم ؟. يصح أن نجعل الخبر مبتدأ فنقول :

« زيد مجتهد » ، هذا إذا كنا نعلم زيداً ونجهل صفته ، فجعلنا زيداً مبتدأ ، ومجتهداً خبراً . لكن إذا كنا نعرف إنسانا مجتهداً ولا نعرف من هو ؛ فإننا نقول : « المجتهد زيد » .

إذن فمرة يكون الاسم معروفاً لك فتلحق به الوصف ، ومرة تجهل الاسم وتعرف الوصف فتلحق الاسم بالوصف . وهذا سر اختلاف الرفع والنصب فى كلمة « البر » فى كل من الآيتين . ونقول للمستشرقين : إن لكل كلمة فى القرآن ترتيبًا ومعنى ، فلا تتناولوا القرآن بالجهل ، ثم تثيروا الإشكالات التى لا تقلل من قيمة الكتاب ولكنها تكشف جهلكم .

ثم ما هو « البر » ؟ قلنا : إن البر هو الشىء الحسن النافع . ولو ترك الله لنا تحديد « البر » لاختلفت قدرة كل منا على فهم الحسن والنافع باختلاف عقولنا ؛ فأنت ترى هذا « حسناً » ؛ وذاك يرى شيئا آخر ، وثالث يرى عكس ما تراه ، لذلك يخلع الله يدنا من بيان بمعنى البر ، ويحدد لنا سبحانه مواصفات الحسن النافع ، فما من واحد ينحرف ويميل إلى شىء إلا وهو يعتقد أنه هو الحسن النافع ، ولذلك يقول الحق : « ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها » .

إن هذا يدلنا على أن كل غاية لها طريق يوصل إليها ، فاذهب إلى الغاية من الطريق الذى يوصل إليها . ويتبع الحق قوله عن البر : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » . لاتزال كلمة التقوى هى الشائعة فى هذه السورة ، وكل حكم يعقبه السبب من تشريعه وهو التقوى .

ونعرف أن معنى التقوى هو أن تتقى معضلات الحياة ، ومشكلاتها بأن تلتزم منهج الله . وساعة ترى منهج الله وتطبقه فأنت اتقيت المشكلات ، أما من يعرض عن تقوى الله فإن الحق يقول عن مصيره :

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾

(من الآية ١٢٤ سورة طه)

ولا يظن أحد أن التقوى هى اتقاء النار ، لا ، إنها أعم من ذلك ، إنها اتقاء المشكلات والمخاطر التى تنشأ من مخالفة منهج الله . وليعلم الإنسان أن كل مخالفة ارتكبها لابد أن يمر عليها يوم تُرتكب فيه هذه المخالفة كما ارتكبها فى غيره ، فمن لا يحب أن تُجرى فيه المخالفات فعليه ألا يرتكب المخالفات فى غيره .

وبعد ذلك ينتقل الحق إلى قضية أخرى ، وهذه القضية الأخرى هى التى تميز الأمة الإسلامية بخصوصية فريدة ؛ لأنه سبحانه قد أوجد وفطر هذه الأمة على منهاج قويم لم تظفر به أمة من قبل ، وهذه الخصوصية هى أن الله قد أمن أمة محمد على أن تؤدب الخارجين على منهج الله ؛ فقديماً كانت السماء هى التى تُؤدب هؤلاء الخارجين عن المنهج . كان الرسول يشرح ويبلغ المنهج ، فإن خالفه الناس تتدخل السماء وتعاقبهم ، إما بصاعقة ، وإما بعذاب ، وإما بفيضان ، وإما بأى وسيلة . ولم يكن الرسل مكلفين بحمل وقسر الناس على المنهج . وحين سأل بنو إسرائيل ربهم أن يقاتلوا ، لم يكن قتالهم من أجل الدين مصداقا للآية الكريمة :

﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾

(من الآية ٢٤٦ سورة البقرة)

علة القتال - إذن - أنهم أُخرجوا من بيوتهم وأُجبروا على ترك أولادهم ، فهم عندما سألوا القتال لم يسألوه للدفاع عن العقيدة ، وإنما لأنهم أخرجوا من ديارهم وأولادهم .

أما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهى التى أمنها الله على أن يكون فى يدها الميزان ، وليس هذا الميزان ميزان تسلط ، وإنما هو ميزان يحمى كرامة الإنسان بأن يصون له حرية اختياره بالعقل الذى خلقه الله ، فلا إكراه فى الإيمان بالله . وقد شرع الله القتال لأمة محمد لا ليفرض به دينا ، ولكن ليحمى اختيارك فى أن تختار الدين الذى ترتضيه . وهو يمنع سدود الطغيان التى تحول دونك ودون أن تكون حراً مختاراً فى أن تقبل التكليف .

ولذلك فالذين يحاولون أن يلصقوا بالإسلام تهمة أنه انتشر بالسيف نقول لهم :

إن حججهم ساقطة واهية ، وكـذلك قولهم : إن الإسلام عندما يفرض الجزية فكأنه جاء لجباية الأموال ، نقول لهؤلاء : جزية على مَنْ ؟ جزية على غير المؤمن ، وما دام قد فُرضت عليه جزية، فمعنى ذلك أنه أباح له أن يكون غير مؤمن ، لو كان الإسلام يُكره الناس على اعتناقه لما كان هناك مَنْ نأخذ عليه جزية . إذن، فالإسلام لم يكرهه ، وإنما حماه من القوة التى تسيطر عليه حتى لا يُكرهه أحد على ترك دين، وهو حر بعد ذلك فى أن يسلم أو لا يسلم . وكأن الذين ينتقدون الإسلام يدافعون عنه ؛ فسهامهم قد ارتدت إليهم .

وهنا تساؤل قد يثور : إذا كان الأمر كذلك، فلماذا كانت حروب المسلمين ؟ نقول : إن حروب الإسلام كانت لمواجهة الذين يفرضون العقائد الباطلة على غيرهم، وجاء الإسلام ليقول لهؤلاء : ارفعوا أيديكم عن الناس واجعلوهم أحراراً فى أن يختاروا الدين المناسب . ولماذا تركهم الإسلام أحراراً ؟ لأنه واثق أن الإنسان مادام على حريته فى أن يختار فلا يمكن أن يجد إلا الحق واضحاً فى الإسلام . ولذلك فكثير من الناس الذين يقرأون قوله تعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. (٢٥٦) ﴾

(سورة البقرة)

لا يفطنون إلى أن العلة واضحة فى قوله ـ سبحانه ـ من الآية نفسها « قد تبين الرشد من الغى » . إذن، فالمسألة واضحة لماذا نُكره الناس وقد وضح أمامهم الحق والباطل ؟ نحن فقط نمنع الذين يفرضون عقائدهم الباطلة على الناس ؛ فأنت تستطيع أن تُكره القالب ، لكن لا تستطيع أن تُكره القلب . ونحن نريد أن ينبع الإيمان من القلب ، ولهذا يقول الحق لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) ﴾

(سورة الشعراء)

إن الله لا يريد أعناقاً ، لو كان يريد أعناقاً لما استطاع أحد أن يخرج عن قدره

ـ سبحانه ـ من يُريد الله أن يبتليه بمرض أو موت، فلن ينجو من قدره . إن الحق يريد إيمان قلوب لا رضوخ قوالب . فالذى يجبر الآخرين على الإيمان بالكرباج لن يتبعه أحد ، وهو نفسه غير مؤمن بما يفرضه على الناس . ولو كان مؤمناً به لما فرضه على الناس بالقسر ؛ إنهم سيقتلونه عن طواعية واختيار عندما يتبين لهم أنه الحق المناسب لصلاح حياتهم .

ونحن نلتفت حولنا فنجد أن النظم والحكومات التى تفرض مبادئها بالسوط والقهر تتساقط تباعاً ، فعندما تتخلى هذه الحكومات عن السوط والبطش، فإن الشعوب تتخلى عن تلك الأفكار ، والقرآن هنا يعالج هذه المسألة عندما يتحدث عن القتال وتشريع القتال ، الأمر الذى اختص به الحق أمة الإسلام ، وهو سبحانه لم يأذن بالقتال خلال فترة الدعوة المكية التى استمرت ثلاثة عشر عاماً ، ثم أذن به بعد الهجرة إلى المدينة ، وقد كان من الضرورى أن يتأخر أمر القتال ، لأن الحق أراد أولاً أن يلتفت المسلمون إلى اتباع المنهج حتى يكونوا لغيرهم قدوة ، ويروا فيهم أسوة حسنة ، لذلك قال الحق :

﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

(من الآية ١٠٩ سورة البقرة)

وقال سبحانه أيضاً :

﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾

(من الآية ٤٨ سورة الأحزاب)

لماذا كل هذا التدرج ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى علم أن الدعوة للإسلام ستدخل البيوت العربية ، فسيضم البيت الواحد كافراً بالله ومؤمناً بالله ، ولو أنه سبحانه وتعالى شرع القتال من البداية لصار فى كل بيت معركة .

ثم إن الحق سبحانه وتعالى يعلم أن تلك القبائل العربية بها كثير من خفة وطيش وسفه ؛ وكانوا يقتتلون لأتفه الأسباب؛ فمن أجل ناقة ضربها كليب بسهم في ضرعها فماتت اشتعلت الحرب أربعين سنة. وفى ذلك يقول الشاعر عند الحفيظة

والغضب :

قـوم إذا الشـر أبدى ـ نـاجـذيه لهم ـ
طاروا إليـــه زرافـــات ووحـــدانا

والثانى يقول :

لا يســألون أخاهم حـين ينـدبهم
فى النـائبـــات على مـــا قـــال برهـانا

أى أنهم لا يسألون أخاهم : « لماذا نحارب ؟ » ، وإنما يحاربون بلا سبب ولأى سبب ، فالحمية الرعناء تدفعـهم للقتال بلا سبب . وفى مقـابل ذلك كانت عندهم نخوة للحق ، فعـندما يرون شخصاً قـد ظلمه غيره ؛ تأخذهـم النخوة ، ويأخذون على يد الظالم ، وأراد الحق سبـحانه وتـعالى أن يهيج فـيهم النـخوة حـين يرون الضعاف من المسلمين مستضعفين ، وقد عزلهم بعض من القوم فى شعب أبى طالب وجوعوهم وقاطعوهم حتى اجتـمع الخمسة العظام فى مكة وقالوا : « كيف نقبل أن نأكل ونشرب ونأتى نساءنا وبنو هاشم وبنو المطلب محصورون فى الشعب لا يأكلون ولا يشربون ولا يتبايعون » .

لقد كانوا كفاراً ، وبرغم ذلك وقفوا موقفاً عظيماً وقالوا : هاتوا الصحيفة التى تعاهدنا فيها على أن نقاطـع بنى هاشم وبنى المطلب ونقطعها ؛ واتفقوا على ذلك . وكانوا خـمسة من سادات مكة هم : هشـام بن عمرو ، وزهير بن أبى أمـية ، وأبو البحـترى بن هاشم ، وزمعة ابن الأسـود ، والمطعم بن عدى . وكانوا قـادة النخوة التى أنهت مقـاطعة المسلمين . هكذا نرى أن العرب كـانوا يتسمون بالحـمية الرعناء وتقابلها النخوة فى الحق .

ويعلم الحق سبـحانه وتعالـى أن نقل أمة العرب مما إعـتادته ليس أمراً سـهلاً ، لذلك أخذهم برفق الهَوَادة . والذينَ يقولون : لماذا لم يحارب المسلمون أعداءهم من أول وهلة ولماذا لم يقتلوا صناديد الكفر فى مكة ؟

راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر .

نقول لم: إن كثيراً من الذين كنتم ترون قتالهم فى بداية الدعوة الإسلامية هم الذين نشروا راية الإسلام من بعد ذلك ، ومثال ذلك خالد بن الوليد، الذى كان قائداً مغوارا فى صفوف المشركين، وقاتل المسلمين فى أول حياته، ثم هداه الله للإسلام وأصبح سيف الله المسلول، ماذا لو قتل هذا القائد الفذ على أيدى المسلمين؟ كان مثل هذا الفعل سيتسبب فى حرمان المسلمين من موهبته، تلك الموهبة التى أسهمت فى معظم الفتوحات الإسلامية فى الشام والعراق.

إذن شاءت حكمة الله أن يستبقى أمثال خالد وهم خصوم للإسلام فى بدء الدعوة لأن الله قد أعد لهم دوراً يخدمون به الإسلام. والذين نالوا من الإسلام أولا هم الذين ستبقى عندهم الحرارة حتى يعملوا عملاً يغفر الله لهم به ما قد سبق.

انظر إلى عكرمة بن أبى جهل كان شوكة فى ظهر المسلمين فى بداية الدعوة، ثم أسلم وأبلى بلاء حسناً، ولما أصيب فى موقعة اليرموك وأوشكت روحه أن تصعد إلى خالقها نظر إلى قائده خالد بن الوليد وقال: أهذه ميتة تُرضى عنى رسول الله؟. كأنه كان يعلم أن رسول الله كان قد غضب عليه قبل أن يسلم.

وعمرو بن العاص داهية المسلمين الذى لولاه ما فُتحت مصر. فقد كسب بدهائه أهل مصر فامتنعوا عن قتاله، وناظرهم بعد ذلك حتى استل حقدهم على المسلمين. وأبان لهم أن رسول ﷺ قال موصياتهم «استوصوا بالقبطيين خير لأن هم رحما وذمة» وفوق هذا فقد أرسله النبى ﷺ إلى بعض العرب يستقرهم إلى الاسلام.

إذن فمن رحمة الله أنه لم يشأ تشريع القتال من البداية، وإلا لكنا فقدنا كثيراً من قادة الإسلام العظام الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية فيما بعد. وكل إنسان استبقاه الإسلام وهو خصم وعدوا للإسلام، قدر الله له بعد الإسلام دورا يخدم به الدين الخاتم.

من هنا نفهم الحكمة من تأخير القتال فى الإسلام، لأن الله أراد أن يمحص ويختبر، وألا يدخل هذا الدين إلا من يتحمل متاعب هذا الدين، ومشاقه لأنه

سيكون مأموناً على مجد أمة، وعلى منهج سماء، وتلك أمور لا يصلح لها أى واحد من الناس.

وقد كان من الممكن أن ينصر الله دينه من أول وهلة دون تدخل من المسلمين، وكان معنى ذلك أن الناس سيتساوون فى الإيمان أولهم وآخرهم، ولكن شاءت إرادته سبحانه وتعالى أن يجعل لهذا الدين رجالاً يفدونه بأرواحهم وأموالهم لينالوا الشهادة ويرتفعوا إلى مصاف النبيين. لذلك جاء الأمر بالقتال متأخراً وبالتدريج: لقد جاء الأمر بالقتال فى أول مرحلة بقول الله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠ ﴾

وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ اشتاق هو وصحابته إلى البيت الحرام، وأرادوا أن يعتمروا، فجاءوا فى ذى القعدة من السنة السادسة من الهجرة. وأرادوا أن يؤدوا العمرة فلما ذهبوا وكانوا فى مكان كان اسمه الحديبية، ووقفت أمامهم قريش وقالت: لا يمكن أن يدخل محمدٌ وأصحابه مكة.

وقامت مفاوضات بين الطرفين. ورضى رسول الله بعدها أن يرجع هذا العام على أن يأتى فى العام القادم. وتخلى لهم مكة ثلاثة أيام فى شهر ذى القعدة.

وكان رسول ﷺ قد بشر أصحابه بأنهم سيدخلون المسجد الحرام محلقين ومقصرين، وشاع ذلك الخبر، وفرح به المسلمون وسعدوا، ثم فوجئوا بمفاوضات رسول الله ورجوعه على بعد نحو عشرين كيلو متراً من مكة وحزن الصحابة. حتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه غضب وقال للنبى ﷺ:

ألست رسول الله؟ ألست على الحق؟ فرد عليه سيدنا أبوبكر قائلا : الزم غرزك ياعمر إنه لرسول الله .

وقد أظهرت هذه الواقعة موقفا لأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، وهو موقف يعبر عن الحنان والرحمة والمشورة اللينة الهينة . فحينما دخل عليها رسول الله وقال لها : هلك المسلمون يا أم سلمة ، أمرتهم فلم يمتثلوا .

فانظر إلى مهمة الزوجة عندما يعود إليها زوجها مهموما ، هنا تتجلى وظيفتها فى السكن ، قالت أم سلمة : أعذرهم يارسول الله ؛ إنهم مكروبون . كانت نفوسهم مشتاقة لأن يدخلوا بيت الله الحرام محلقين ومقصرين ، ثم حرموا منها وهم على بعد أميال منها ، أعمد إلى ما أمرك الله فافعله ولا تُكلم أحداً ، فإن رأوك فعلت ، علموا أن ذلك عزيمة .

وأخذ رسول الله بنصيحة أم سلمة ، وصنع ما أمره به الله ، وتبعه كل المسلمين ، وانتهت المسألة . وقبل أن يرجعوا للمدينة لم يشأ الله أن يطيل على الذين انتقدوا الموقف حتى لا يظل الشرخ فى نفوس المؤمنين . وتلك عملية نفسية شاقة ، لذلك لم يُطل الله عليهم السبب ، وجاء بالعلة قائلا لهم : ما يحزنكم فى أن ترجعوا إلى المدينة ؛ أنتم لكم إخوان مؤمنون فى مكة وقد أخفوا إيمانهم وهم مندسون بين الكفار ، فلو أنكم دخلتم ، وقاتلوكم ، ستقاتلون الجميع مؤمنين وكافرين ، فتقتلون إخوانا لكم ، فلو كان هؤلاء الإخوان المؤمنون متميزين فى جانب من مكة لأذنت لكم بقتال المشركين ؛ كما تريدون . واقرأ قول الله تعالى :

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) ﴾ [الفتح]

بعد نزول الآية عرف المسلمون أن الامتناع كان لعلة ولحكمة ، فلما جاءوا في العام التالي قال الله لهم :

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ... (١٩٤) ﴾ [البقرة]

وكان الحق يطمئنهم، فالذين صدوكم في ذي القعدة من ذلك العام ستقاتلونهم وستدخلون في ذي القعدة من العام القادم. وخاف المسلمون إن جاءوا في العام المقبل أن تنقض قريش العهد وتقاتلهم ، ونزل قول الحق :

﴿ وَقَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ [البقرة]

وعندما نتأمل قوله تعالى : «وقاتلوا في سبيل الله » فإننا نجد ان الحق سبحانه يؤكد على كلمة «في سبيل الله » لأنه يريد أن يضع حداً لجبروت البشر ، ولابد أن تكون نية القتال في سبيل الله لا أن يكون القتال بنية الاستعلاء والجبروت والطغيان فلا قتال من أجل الحياة، أو المال أو لضمان سوق اقتصادي ، وإنما القتال لإعلاء كلمة الله، ونصرة دين الله. هذا هو غرض القتال في الاسلام .

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» والحق ينهى عن الاعتداء، أي لا يقاتل مسلم من لم يقاتله ولا يعتدي .

وهب أن قريشا هي التي قاتلت، ولكن اناساً كالنساء والصبيان والعجزة لم يقاتلوا المسلمين مع أنهم في جانب من قاتل، لذلك لا يجوز قتالهم، نعم على قدر الفعل يكون رد الفعل. لماذا؟ لأن في قتال النساء والعجزة اعتداء، وهو سبحانه لا يحب المعتدين. لكن قتال المؤمنين إنما يكون لرد العدوان. لا بداية عدوان .

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) ﴾

ونحن نسمع كلمة « ثقافة » ، وكلمة « ثقاف » ، والثقافة هى يسر التعلم ، أو أن تلم بطرف من الأشياء المتعددة ، وبذلك يصبح فلان مثقفاً أى لديه كمٌ من المعلومات ، ويعرف بعض الشيء عن كل شيء ، ثم يتخصص فى فرع من فروع المعرفة فيعرف كل شيء عن شيء واحد .

كل هذه المعانى مأخوذة من الأمور المحسة ، والتثقيف عند العرب هو تقويم الغصن ، فقد كان العرب يأخذون أغصان الشجر ليجعلوها رماحاً وعصياً ، والغصن قد يكون معوجاً أو به نتوء ، فكان العربى يثقفه، أى يزيل زوائده واعوجاجه ، ثم يأتى بالثقاف وهو قطعة من الحديد المعقوف ليقوِّم بها المعوج من الأغصان كما يفعل عامل التسليح بحديد البناء .

كأن المُثَقِّف هو الذى يعدل من شيء معوج فى الكون ، فهو يعرف هذه وتلك ، وأصبح ذا تقويم سليم . وهكذا نجد أن معانى اللغة وألفاظها مشتقة من المحسات التى أمامنا . وقوله: « ثقفتموهم » أى «وجدتموهم » ، فثقف الشيء أى وجده .

والحق يقول :

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾(من الآية ٥٧ سورة الأنفال)

أي« شردهم حيث تجدهم . ويقول الحق : «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» أي لا تقولوا إنهم أخرجوكم من هنا ، وإنما أخرجوهم من حيث أخرجوكم ، أي من أي مكان أنتم فيه ، وعند ذلك لن تكونوا معتدين . وقوله تعالى : «وأخرجوهم من حيث أخرجوكم» يذكرنا بمنطق مشابه في آية أخرى منها قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ .. (١٢٦) ﴾ [النحل]

وقوله تعالى :

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ... (٤٠) ﴾ [الشورى]

وعندما نبحث في ثنايا هذه النصوص «وجزاء سيئة سيئة مثلها «قد يرد هذا الخاطر» أخذت حقي من أساء إلي ، وانتقمت منه بعمل يماثل العمل الذي فعله معي ، هل يقال : إنني فعلت سيئة؟

وحتى نفهم المسألة نقول : الحق سبحانه وتعالى يأتي في بعض الأحايين بلفظ «المشاكلة» وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحته ، ومثل ذلك قوله «ومكروا ومكر الله» ، إن الله لا يمكر ، وإنما اللفظ جاء للمشاكلة . أو أن اللفظ الكريم قد جاء في استيفاء حقك بكلمة «سيئة مثلها» لينبهك إلى أن استيفاء حقك بمثل ما صنع بك يعتبر سيئة إذا ما وازناه بالصفح والعفو عن المسيء ، يشير إلى ذلك سبحانه في نهاية هذه الآية بقوله : «فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين» وبمثل ذلك كان ختام الآية السابقة «ولئن صبرتهم لهو خير للصابرين» .

ويقول الحق : «والفتنة أشد من القتل» . والفتنة مأخوذة من الأمر الحسي ، فصائغ الذهب يأخذ قطعة الذهب فيضعها في النار فتنصهر ، فإذا ما كان يشوبها معدن غريب عن الذهب فهو يخرج ويبقى الذهب خالصا ، فكأن الفتنة ابتلاء واختبار ، وقد فعل المشركون ما هو أسوأ من القتل ، فقد حاولوا من قبل ان يفتنوا المؤمنين في دينهم بالتعذيب ، فخرج المؤمنون فراراً بدينهم .

والحق يأمر المسلمين فى قتالهم مع أهل الشرك أن يراعوا حرمة البيت الحرام ، فلا ينتهكوها بالقتال إلا إذا قاتلهم أهل الشرك .

وهكذا نجد أن أول أمر بالقتال إنما جاء لصد العدوان ، وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يسقط من أيدى خصوم الإسلام ورقة قد يلعبون بها مع المسلمين ، فهم يعلمون أن المؤمنين بالإسلام سيحترمون الأشهر الحرم ويحترمون المكان الحرام ويحترمون الإحرام فلا يقاتلون ؛ وربما أغرى ذلك خصوم الإسلام ألا يقاتلوا المسلمين إلا فى الأشهر الحرم ، ويظنون أن المسلمين قد يتهيبون أن يقاتلوهم ، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يشرع لهم ما يناسب مثل هذا الأمر فأذن لهم فى القتال ، فإن قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فى الشهر الحرام ، وإن قاتلوكم فى المكان الحرام فقاتلوهم فى المكان الحرام ، وإن قاتلوكم وأنتم حُرم فقاتلوهم ؛ لأن الحرمات قصاص .

إذن أسقط الحق الورقة من أيدى الكافرين . إن الحق سبحانه وتعالى يعلل ذلك بأنه وإن كان القتال فى الشهر الحرام وفى المكان الحرام وفى حال الإحرام صعباً وشديداً، فالفتنة فى دين الله أشد من القتل ، لأن الفتنة إنما جاءت لِتُفسد على الناس دينهم ، صحيح أنها لا تعوق الناس عن أن يتدينوا ، ولكنها تفتن الذين تدينوا، وقد حاولوا إجبار المسلمين الأوائل بالتعذيب حتى يرتدوا عن الدين ، وكان ذلك أشد من القتل لأنها فتنة فى الدين .

إن الله هو الذى شرع الشهر الحرام، فكيف يُفتن المؤمنون عن دين الله ويُحملون على الشرك به ثم تقولون بعد ذلك إننا فى الشهر الحرام ؟ إن الشهر الحرام لم يكن حراماً إلا لأن الله هو الذى حرمه ، فالفتنة فى الله شرك وهو أشد من أن نقاتل فى الشهر الحرام ، ولذلك فلا داعى أن يتحرج أحد من القتال فى الشهر الحرام عندما يفتن فى دينه . وحينئذ نعلم أن القتال إنما جاء دفاعاً .

وبعد ذلك هل يظل القتال دفاعاً كما يريد خصوم الإسلام أن يجعلوه دفاعاً عمّن آمن فقط ؟ أو كما يريد الذين يحاولون أن يدفعوا عن الإسلام أنه دين قتال

ويقولون : لا ، الإسلام إنما جاء بقتال الدفاع فقط . نقول لهؤلاء : قتال الدفاع عَمَّن ؟ هل دفاع عَمَّن آمن فقط ؟ أم عن مطلق إنسان نريد أن ندفع عنه ما يؤثر فى اختيار دينه ؟

هو دفاع أيضاً ، وسنسميه دفاعاً ، ولكنه دفاع عَمَّن آمن ، ندفع عنه مَنْ يعتدى عليه ، وأيضاً عَمَّنْ لم يؤمن ندفع عنه مَنْ يؤثر عليه فى اختيار دينه لنحمى له اختياره ، لا لنحمله على الدين ، ولكن لنجعله حراً فى الاختيار ؛ فالقوى التى تفرض على الناس ديناً نزيحها من الطريق ، ونعلن دعوة الإسلام ، فمَنْ وقف أمام هذه الدعوة نحاربه ؛ لأنه يفسد على الناس اختيار دينهم ، وفى هذا أيضاً دفاع .

« ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » لأنكم أحرى وأجدر أن تحترموا تحريم الله للمسجد الحرام ، لكن إذا هم اجترأوا على القتال فى المسجد الحرام فقد أباح سبحانه لكم أيها المسلمون أن تقاتلوهم عند المسجد الحرام ما داموا قد قاتلوكم فيه . « فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم » . وما أسمى هذا الدين .

إننا لا نؤاخذهم بعد أن انتهوا إلى الإيمان بما قدمت أيديهم من الاجتراء على أهل الإيمان ما داموا قد آمنوا ، ولذلك نرى عمر بن الخطاب وقد مر على قاتل أخيه زيد بن الخطاب : وأشار رجل وقال : هذا قاتل زيد . فقال عمر : وماذا أصنع به وقد أسلم ؟ لقد عصم الإسلام دمه .

لقد انتهت المسألة بإسلامه ، فالإيمان بالله أعز على المؤمن من دمه ومن نفسه ، وحين يؤمن فقد انتهت الخصومة . وهذا وحشى قاتل حمزة ، يقابله رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما يصنعه رسول الله هو أن يزوى وجهه عنه ، لكنه لا يقتله ولا يثأر منه . وهند زوجة أبى سفيان التى أكلت كبد حمزة ، أسلمت وانتهت فعلتها بإسلامها . إذن، فالإسلام ليس دين حقد ولا ثأر ولا تصفية حسابات ، فإذا كان الدم يغلى فى مواجهة الكفر ، فإن إيمان الكافر بالإسلام يعطيه السلامة ، هذا هو الدين .

﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾

أى مادموا قد كفوا عما يصنعون من الفتنة بالدعوة والشرك بالله وزُجروا بالدين الآمر فانزجروا عن الكفر ، بعدها لا شيء لنا عندهم ؛ لأن الله غفور رحيم ، فلا يصح أن يشيع فى نفوسنا الحقد على ما فعلوه بنا قديما ، بل نحتسب ذلك عند الله ، ومادامو قد آمنوا فذلك يكفينا . والحق سبحانه وتعالى بعد أن أعطانا مراحل القتال ودوافعه قال :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

وعرفنا أن الفتنة ابتلاء واختبار والحق يقول :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت]

إن الحق يختبر الإيمان بالفتنة ، ويرى الذين يُعلنون الإيمان هل يصبرون على ما فيه من ابتلاءآت أم لا ؟ فلو كان دخول الإسلام لا يترتب عليه دخول فى حرب أو قتال ولا يترتب عليه استشهاد بعض المؤمنين لكان الأمر مغريا لكثير من الناس بالدخول فى الإسلام ، لكن الله جعل لهم الفتنة فى أن يُهزَموا ويُقتل منهم عدد من الشهداء ، وذلك حتى لا يدخل الدين إلا الصفوة التى تحمل كرامة الدعوة ، وتتولى حماية الأرض من الفساد ، فلابد أن يكون المؤمنين هم خلاصة الناس .

لذلك قال سبحانه : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » . معنى أن يكون الدين لله ، أى تخرجوهم من ديانة أنفسهم أو من الديانات التى فرضها الضغيان عليهم ، وعندما نأخذهم من ديانات الطغيان ، ومن الديانات التى زينها الناس إلى ديانات الخالق فهذه مسألة حسنة بالنسبة لهم ، وتلك مهمة سامية . كأنك بهذه